الطبيب الشاعر

تمثيلية شعرية في فصلين

أشخاص الرواية

الدكتور أوليفر وندل هولمز	الدكتور آرثر آدمز — منافس هولمز، وصديق سويفت
لينورا — صديقة هولمز	شارلي — عامل في بناء السفن
الدكتور جيرل سويفت — صديق هولمز	هنري — عامل في بناء السفن
	رسول

الفصل الأول

(يقع الفصل الأول من هذه التمثيلية في أصيل يوم من خريف سنة ١٨٤٧ م. حيث هي الدكتور أوليفر وندل هولمز أستاذاً للتشريح والفزيولوجيا بجامعة هارفارد وكان الدكتور هولمز شاعراً الى جانب براعته الطبية والعلمية وفي طليعة المعجبين به صديقه جون سويفت وصديقته لينورا. وفي مقدمة منافسيه وحاسديه الدكتور آرثر آدمز وإن يكن صديقاً لسويفت. ويقع هذا الفصل في حديقة بيت الدكتور هولمز في بلدة كيمبردج بأمريكا، وقد جلس آدمز يتحدث الى سويفت على مقعد في حديقة الدار منتظرين عودة هولمز من رياضته اليومية.

آدمز — . . . أجبني إذن .. ما سر صمتك هذا؟
أمن سور التشريح نظم يصوغه ... وليس بشعر، ليس كلاما
كأن به للحن لحناً مبعثراً ... له رفة معنى عالياً ونظاما؟!
أمن صور الفزيو.

سويفت (مقاطعاً) — . . . كفى إن حظه ... أقل من الجهد الذي هو أهله
وملكك أولى بالوفاء لفضله ... وقد عز بين الناس في الفضل مثله
وما كان يوماً للنبوغ قواعد ... تحدثه . . . . .

آدمز (مقاطعاً) — . . . . . يابئس النبوغ عسيرا!

هلا فرق أطباق السماء خياله ولم يدر كنه الناس والخلق والثرى

سوبفت (مستاء) —

بودّي ، صديقي ، لو تعلّمت مرة عن النّيل منه !

آدمز (مقاطعاً) — . . . . . كيف تحسب ذا نيلا ؟ !

فما الصدق إلاّ أن أقول الذي أرى وليس بصدق أن أماري من ضلاّ

ولولا ودادي ما نسبت بلفظة

سوبفت (مقاطعاً) — . . . . . إذن إن طول الصمت من مثلنا أولى

بحسبك هذا الذهن يقطر علمه حياة ، وهذا قلبه يقطر الفنّا

وكيف لنا أنّا نصيب مراحاً لأنّا حرمناها ، ولذتها ضنّا ؟

أيبقى النبوغ الفذ فينا مغرّبا شقيّا وتجزيه الإساءة والمنّا ؟ !

آدمز — من الخير إما أن يطلق شعره بتاتاً ، وإما أن يطلق عنه !

سوبفت — عجيب ، وربي ، أن تحدّد هكذا مواهبه ، أو أن تحدّد فيه !

لكم يخنق الموهوب في عصر أهله

آدمز (مقاطعاً) . . . . . بربك أين الشعر والفنّ في هذا

أصغ لمثال قاله من قصيدة رثاه عجيباً لسفينة (أبرنسيدز)

أصغ وأجبني . . . . . قال :

« أجل ! انزعوا شعارها ! فقد طال رفيفه عاليا !

كم من عيون رقصت لترى هذا العلم في السماء !

وتحته دوّت صيحة المعركة وزعقة المدفع

فلن يجوف السحب بعد الآن هواء المحيط المكفهر ! »

أجبني ! أهذا ما تنبيه شعرا ؟ !

سوبفت — بل ! هو عين الشعر لو كنت تعرف !

آدمز — إذن فلا حتى أنني لست أعرف ويا ربّ جهل مثل جهلي يشرف !

سوبفت — هذا تنافس من يعيشون بظل واحد !

آدمز (مقاطعاً) — ها ها ها ! عجيب منك هذا !

أتحسب أن مثلي يغار يا صاح منه ؟ !

سويفت — لم التعجب والأزهار أقصها ... تغار ، بل وتري الأملاك غارة ؟ !

آدمز — إلامَ !

سويفت — . . . . إلاك ؟ ! سبحان ربي ! (يسمع وقع أقدام) .

آدمز — ها هما قادمان !

سويفت — إياك إياك من لفظ تفوه به يمكر السفو ! (يقترب وقع الاقدام).

آدمز — يا للحقيقة كاليتيم يضيعُ ما بين الشتاء
يتنافسون على وصايتها ، ويا بئس الوصاءُ !

هولمز ولينورا (مقتربين) — مرحباً ! مرحباً !

آدمز وسويفت — مرحباً بكما !

هولمز — أوَ ! ليتك كنت معنا !

آدمز — لست بالعاشق الغابة مثلك !

هولمز — لأنك لست تعرفها .

سويفت — لو كنت تعرفها كعرفاني لسخّرك افتتانك !

هولمز — إني ولينورا وجون على صداقتها نحافظ
في كل فصل ، فالجمالُ بها على التنويع ساحرْ

لينورا — وأنا أغار كأنها الهيفاء تلعب بالسرائرْ
سيّان إن سكنت وإن صدحت ترقّ لها المشاعرْ !

هولمز — كأنها « فقراء » الهند واقفة ... على صلاة بلا نوم ولا سأم
لها الشتاء حياة قبل تربتها ... وكم يغازلها الحرّ من نغم !

لينورا — وما الخريفُ سوى حب بلا أملِ ... أما الشتاء حب يعتبُ الاملا
حين الطبيعة في الحالين باسمة ... وإن توارت ، وبيق قلبها ثملا !

هولمز — وكيف كانت فاني عبد نعمتها ... ولا أغني لها إلاّ أغانيها
وما أعدّ خرير الماء رادها ... إلاّ تراجيع أرواح تناجيها

وصفرة الورق الحاوي لتربتها رجع الحياة لترب عاش يحييها
كأنه الذهبُ الإبريز تفدقه على العفاة زكاة من معانيها !

آدمز — ها ها ها !

أما أنا فأحب الشعر في عملي ومبضعي قلمي والجسم قرطاسي
أسدي إلى الناس ما أسدي وإن جهلوا وما عليَّ هوان الذكر في الناس
والشعر ليس سوى أضغاث قائله وليس غير خيالات ووسواس

هولمز — إذن إلى الدفء هيَّا !

آدمز — هذا أحب إليَّا !

هولمز — هلمّوا فنزلنا نام بموقده حيث تضحكه نارهُ !

وفيها من الشعر لون جديد !

آدمز — أفي كل شيء ترى الشعر حيا ؟!

هولمز — أجل ! كل ما في الحياة لينبض بالشعر حساً ومعنى
ولكن من الناس من لا يراه ومن لا يحس به إن تعنى
هلموا إذن ! (يسمع وقع أقدام) .

سويفت — . . . ربَّ شعر شريف تغنى به الخلدُ للخالدينْ
وألهم الناس مجداً فبيلاً ومن قبل كانوا من الهازلين !

لينورا — من ترى القادم هذا ؟

رسول (مقتربا في فرحة) —

سيدي ! هذه الصحيفة تروي شعرك الفخم قدوة للرجال !

لينورا (متلهفة) (مخاطبة الرسول) — دعني أطالعها ! (تأخذ الجريدة وتنظر فيها) .

(مخاطبة هولمز في فرحة) — هنئت يا ملك الجماهير . . . مرحى !

الفصل الثاني

(يقع الفصل الثاني في يوم من سنة ١٨٧٦ ، في حوض لنتاء اللندن ، وقد أخذ عاملان من عمال السفن — شارلي وهنري — يتحدثان بين دن المطارق .

شارلي — أتحيي مجوراً بمثلما هدها الدهر ؟ ! . . . عجبت لرأيي !

هنري — (متأثراً) . . . . . إنها غير ما تدري .

فقيها معاذ الطولة جنّة ... وإن جرحت في الرأس والظهر والصدر
وكل جراحات لها بعض مجدها ... وكم فتكت في كل موقعة بكر !
وأخشابها ليست محائف صمرها ... فما عمرها إلا الخلود في الدهر
بناها لنا الباني ولم يبن قدرها ... ولكنه مبنى الأشاوسة الغر

شارلي (مازحاً) —

لعلك ترجو أن تنال « علاوة » ... فتمدح يا هنري المعيد بناءها

هنري (معاتباً) —

أأنسيت يا شارلي بأن الذي دعا ... إليه هو الشعب الوفيّ لأمسه ؟
أأنسيت ؟

شارلي (متعجباً ، معترضاً) — ما هذا الذي أنت قائل ؟ !

هنري (متعجباً) — إذن أنت لا تدري الجرائد والشعبا !

أصخ يا زميلي ! إنّ هذي سفينة ... تمثل مجداً للبطولة لا يشرى
كاد يلقى في المحيط بما وعت ... وأنفسه الذكرى التي تحملُ الذكرا
ولكنّ شعراً سافهُ قبل مادح ... مآثرها قد عاد يحصيها صمرا
فردّده الشعب المزهر طالباً ... صيانتها في حين قد هيأوا القبرا
وكم حسد الأغرار إبداعه ، وكمْ ... تمنّوا له بعد العقوق به الضرا !

شارلي (متعجباً) — ومن هو هذا ؟ « يسمع وقع أقدام » .

هنري — ذاك من هو قادم !

هولز « مقترباً ، ومخاطباً نفسه في مناجاة السفينة » —

سلامٌ عليها ! ما أجيل جمالها !
وما أعظم الشعب الذي لم يطق لها ... فناء ، فأحياها ، وحيّا جلالها !
إذا كان شعري ما أثار شعورهُ ... فحسبي مجداً أن أصون فعالها
وحسبي عزاء عن إساءات معشر ... نجيوا وفاءُ الشعب في حبه لها !

[النهاية]